

إلى الإنجاز بالتصريف العفويّ والابتداء التلقائيّ، وهو ما يسمّيه ابن خلدون «فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة» (ص ٤٣١). أمّا الطريف على الصّعيد النظريّ بعد محاصرة قضايا الاكتساب عمليّاً فهو اهتمام صاحب المقدّمة إلى تحديد اللغة بأنها مثالات مجردة تقوم مقام المنوال أو القالب أو الأسلوب - وكلّها من مصطلحاته - وما اكتساب الكلام إلا استرساخ لجملته منوالاته. المولّدة له، لأنّ «مؤلف الكلام هو كالبناء والنساج، والصّورة الذهنيّة المنطبقة كالقالب الذي يبني فيه أو المنوال الذي ينسج عليه». (ص ٥٧٢).

فحصول ملكة اللسان رهينة المعاودة المفضية إلى ارتسام المنوال الذي نسجت عليه مواضع اللغة في مخيلة المتعلّم بحيث إذا همّ بالخطاب نسج من حيث يشعر أو لا يشعر على منوال سننها (ص ٥٦١) والسّرّ في ذلك أنّ ما تلقّاه وحفظه عند الاستعمال والاختبار، وإن ذهب رسمه الحرفيّ الظاهر من الذاكرة فقد تكيّفت النّفس به حتى انتقش الأسلوب فيها كأنّه منوال يؤخذ بالنسج عليه. (ص ٥٧٤).

ويصدّق ابن خلدون قضيّة المنوال التوليديّ - وبه تتحدّد اللغة - عندها يقرّنه بفكرة الأسلوب في الصّياغة الفنيّة التي هي أيضاً تركيب لنفس الأدوات الكلاميّة الأولى - وهذا المزج ينتهي إلى تعميق فكرة الطاقة المولدة لمواضع اللغة إذ يقرّر أنّ الأسلوب «عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه»، وترتبط هويّة هذه القوالب «بصورة ذهنيّة للتراكيب المنتظمة كليّة باعتبار انطباقها على تركيب